الوجود دون أن تساورهم المخاوف والشكوك حيال الطبيعة المتأصلة لهذا الكيان القائم على سلب حقوقهم واغتصاب أرضهم . وما علينا سوى النظر الى الوزن الطفيف الذي يتمتع به أصحاب تلك الدعوة بالنسبة الى مجموع القوى الصهيونية الواقفة بالمقابل . ثم هناك التقصير من جانب الذين يرفعون هذه الشعارات عن ادراك طبيعة العقيدة الصهيونية ومدى تملكها من نفوس معتنقيها وهيمنتها على نظرتهم الشاملة الى الحياة والانسان والتاريخ . فالقول باطراح الصفة الصهيونية ينم عن سذاجة في فهم الابعاد والمعاني التي ينطوي عليها وجود اسرائيل ، وفي الاحاطة بطبيعة المنابع التي تستمد منها اسرائيل كيانها الصهيوني . لذا ينبغي الحذر من مغبة السير في ركاب الشعارات الزائفة من هذا الطراز وامثاله . وما علينا سوى التوقف عند بعض العناصر الاساسية في العقيدة الصهيونية لكي نتبين الاتجاه الذي سوف يأخذه التطور في ظل الصلح والسلام دون أن يخطر للصهيونية خاطر الارتداد على نفسها والانكفاء أو الانحسار .

عناصر الصهيونية الاساسية

ثمة عناصر أساسية في العقيدة الصهيونية سوف تبقى بمعزل عن تأثيرات السلام العتيد بين العرب واسرائيل . فهي عناصر ونزعات متأصلة في تلك العقيدة ، ومن المستبعد كليا ، لا بل من المتعذر ان تطرأ عليها أية تعديلات أو تخضع الى التغييرات . فهي أشبه ما تكون بالمسلمات أو البديهيات التي تأبى التعديل والتغيير طالما انها أثبتت حتى الآن جدواها وفعاليتها في تمكين العقيدة الصهيونية من احراز الانتصارات التي أحرزتها . وليست هناك علاقة مباشرة تشدها الى حقل النزاع العربي ــ الاسرائيلي فتجعلها عرضة للتأثر باحتمالات السلام او اقامة الصلح بين الطرفين . على أن توضيح ذلك يتطلب الينا تعداد العناصر المقصودة والتوقف عند أبرز نواحيها وأكثرها أهمية .

أ ــ **الجالوت ومعاداة السامية** : تنطلق العقيدة الصهيونية لدى هرتزل وعلى أيدي الذين توارثوا افكاره من نظرة معينة الى الظاهرة المعروفة بـ « معاداة السامية » أو العداء لليهود . هذه النظرة تعتبر العداء المذكور بمثابة خاصة طبيعية وابدية تتأصل في الطبع الانساني . أي انه عداء ليس من الممكن استئصال شأفته والقضاء على بذوره وجذوره الكامنة في قلب الامم وعقلها . وفي ذلك يقول هرتزل : « ان الامم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها كلها عدوة للسامية ، اما في الباطن او في الظاهر »(٦). هذا العداء المستحكم يمثل قيمة ثابتة في نظر هرتزل ، ربما كان قابلا للازدياد والاستفحال ، لكنه غير قابل للزوال أو النقصان والانحسار . ومن المعروف ان هرتزل ونوردو اتفقا على اعتبار هوية اليهودي وادراكه لتلك الهوية المميزة رهنا بوجود العداء المشار اليه . فقد كان يطيب لهما القول التالي : « لولا العداء للسامية ، لما كنا أوحافظنا على يهوديتنا . فهو الذي جعل من اليهود يهودا » .

واذا كانت الصهيونية ترى في العداء للسامية باعثا دائما يحفز اليهود الى اكتشاف هويتهم والالتفاف حول بعضهم ورص صفوفهم ، فان الشق المقابل لهذا المرتكز الاساسي يقوم على العنصر العقيدي الصهيوني القائل بضرورة ابطال الجالوت او النفي . أي ان الواقع اليهودي المشتت في سائر أنحاء العالم ، حالة النفي التي يعيشها اليهود هي المسؤولة عن البؤس والشقاء والالم الذي يعانون منه(٧). ولا سبيل الى الخروج من هذا الوضع الا باستخدامه كحافز ومحرك للانتقال الى حالة صهيونية جديدة . هذا هو المقصود بـ « سلب الجالوت » أو تجاوز المنفى عن طريق الاستعانة بوجود العداء للسامية .

فهل من المتوقع أن تتخلى العقيدة الصهيونية عن هذا المرتكز الاساسي من مرتكزاتها الراسخة ؟ ان تحقيق الحل السياسي للمشكلة اليهودية بقيام اسرائيل وفقا للتصميم الهرتزلي لم يضع حدا لظاهرة العداء مثلما انه لم يقلل من شأن الاخطار التي تتوجس الصهيونية منها خيفة : كالاندماج والانصهار وايثار البقاء خارج اسرائيل . ولا يخفى بأن